تقييـــم فعاليـــة برنامـــج جماعة المدمنين المجهـــولين على نسق القيم لدى مدمني المخـدرات.

Efficient evaluation program of group of the two unknown addicts on order valuable with drug addicts.

أ. تيايبيـة عبد الغاني

(جامعة 20 أوت 1955–سكيكدة)

Email : a.tiaibia@yahoo.fr

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 9–2014 ص ص. 223 –248

الملـــــخص

لطالما كانت الجماعة حصن الفرد وملاذه الآمن لمواجهة كثير من الشدائد، وستظل تحتل هـــذه المكانة في حياة الفرد حتى في أكثر المجالات غموضاً وتعقيداً، حيث تقدم الدراسة الحالية دلـــيلاً إضافياً على دور الجماعة في مواجهة أحد المخاطر التي تهدد حياة الفرد والجماعة، فعلى الرغم من تراكم الجهود المبذولة وتضافرها مازال الإدمان على المخدرات يمثل أحد تحدٍ لم يجد له المجتمـــع بمنظماته حلاً قاطعاً، فمازال الإدمان على المخدرات يمثل تهديداً حقيقياً لكثير مـــن المـــدمنين في صحتهم الجسدية والنفسية وعملهم وعلاقاتهم بأسرهم وبالآخرين في مجتمعهم. غير أن إحـــدى وسائل الدفاع التي خرجت من صراع المجتمع مع هذا الاضطراب هي جماعة المدمنين المجهـــولين التي تُعد واحدةً من الجماعات غير المقصودة في مواجهة الإضطرابات المزمنة والتي يُطلق عليهـــا جماعات المساعدة المتبادلة أو الذاتية. ومن هنا جاء هذا البحث للإجابة عن سؤال مفاده: فعاليـــة هذه الجماعة بالنسبة للمدمن على المخدرات من خلال متغير محوري في شخصية الفرد بشـــكل عام والمدمن بشكل خاص وهو نسق القيم.

الكلمات المفتاحية: تقييم، فعالية ، برنامج جماعة المدمنين المجهولين، نسق القـــيم، مـــدمني المخدرات.

Abstract :

For as long as the group was the individual fortress and refuge Security to face a lot of adversity and remain occupies this position in the life of individual and group in the areas most mysterious and complex as the current study provides further evidence of the role of the group in the face of one of the risks that threaten individual and group life despite the accumulation of efforts and synergy addictive still on drug represents one challenge that has yet to find a definitive solution to community organizations a definitive solution is still drug addiction is a real threat to many of the addicts in the physical and mental health, their work and their relationships with their families and others in the community is that one of the means of defense, which came out of the community's conflict with this disorder is a group of drug addicts anonymous That is one of the groups in the face of disorder. Unintended chronic groups, which is called mutual assistance or self-came here and this research to answer a question the effectiveness of this group for on drugs through a pivotal variable in individual personality in particular a pattern values

***Keywords**: evaluation, effectiveness, program Narcotics Anonymous group, format values, drug addicts.*

مقدمـــــــــة

لقد تمخضت الجهود المبذولة في التصدي لعلاج الإدمان على المخدرات عن تطور في فهم الظاهرة و التعامل معها، مثل الوعي بأن الإدمان ظـــاهرة مركبـــة تنطوي على جوانب جسمية و نفسية و اجتماعية وأي محاولة علاجية ستقتصـــر على جانب واحد من هذه الجوانب ستأتي بنتائج قليلة الأهمية، وأن علاج الإدمان بالمعنى الطبي الفارماكولجى وحده ليس كافياً. وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن العلاج الطبي للإدمان لا يمثل – على أفضل تقدير- سوى إحدى مراحل العـــلاج بالمعنى الشامل (جواد فطاير، 131:2001؛ حســـين فايـــد، 2000: 237-254؛ مصطفى سويف، 1996: 215 - 237)، ومن ثم فإن الممارسات العلاجية الفعالة للإدمان تشتمل على جوانب نفسية واجتماعية بالإضافة إلى الجانب الطبي.

ومن هنا ظهرت متغيرات أفرزتها الممارسات العلاجية المختلفة أهمها بـــرامج علاجية قائمة على الجماعات، هاته الأخيرة يشترك فيها مريض الإدمان بهـــدف الشفاء وتسمى جماعات المساعدة المتبادلة وهي جماعات يقوم بإدارتهـــا مرضـــى الإدمان أنفسهم، ولها مجموعة من الخطوات والتقاليد بيد أنها غير محددة العدد أو الجلسات وتقع جماعة المدمنين المجهولين ضمن هـــذا النـــوع مـــن الجماعـــات (Inciardi J.A et al ,1983:3).

وتقوم جماعة المدمنين المجهولين على مجموعة من التقاليد أهمها: أن الشـــرط الوحيد للانضمام إلى هذه الجماعة هو الرغبة في الامتناع عن تعاطي المخـــدرات وليس للجماعة أي نشاطات خارجية (انظر: المدمنون المجهولون، د. ت).

وبالنسبة لدور جماعة المدمنين المجهولين في علاج الإدمان يشير كـــثير مـــن الباحثين إلى أن برنامج جماعة المدمنين المجهولين يُعد جزء رئيسي في البرنامج لعلاج المدمنين سواء المقيمين في المستشفى أو المتابعين من خارجها (*Stephen L.Dits, et*

(*a l, 1996. 351*) ، بل إن بعض البحوث تشير إلى أن برنامج الإثنتي عشرة خطوة (المقصود به برنامج المدمنين أو الكحوليين المجهولين) قد نجح في علاج الإدمان بغض النظر عن الخلفية الدينية للمشتركين فيه (Platt, J. 1986, 126).

وعلينا أن نشير ابتداءً إلى أن للجماعة دور كبير في التأثير على شخصية المدمن في حد ذاته ولو على المستوى النظري، فهناك متغيرات محورية بالنظر إلى الجانب المعرفي والوجداني من السلوك فنجد مثلا نسق القيم كمفهوم وجوهري شامل لكثير من متغيرات هذا الجانب كالاتجاهات والمعتقدات والميول والاهتمامات وكلها متغيرات متضمنة في متغير القيم أو متداخلة معه، وكيف أن اضطراباً معيناً كالإدمان على المخدرات يمكن أن يرتبط بحدوث خلل في واحد من أهم جوانب الشخصية (القيم) ، على اعتبار أن نسق القيم يعني " البناء أو التنظيم الشامل لقيم الفرد، وتمثل كل قيمة في هذا النسق عنصراً من عناصره، وتتفاعل هذه العناصر معاً لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد " (دياب فوزية، 1980، 351)، وبذلك تُعد القيم أحد المحددات الهامة التي يمكن من خلالها تفسير كثير من التباينات بين الأفراد في السلوك، فإذا كان برنامج المدمنين المجهولين يحتوي على نسق قيمي محدد أي معايير محددة يوجبها المدمنون المجهولون على أنفسهم فإننا نتوقع أن تكون هذه الفعالية فيها ما يؤخذ عليها كما فيها ما يحسب لها كما سنرى لاحقا بعد عرض ما أوردته الدراسة السابقة حول فعالية برنامج جماعة المدمنين المجهولين على نسق القيم لدى مدمني المخدرات[1].

ومن هنا يمكننا صياغة السؤال الآتي: إلى أي مدى يمكن أن يكون برنامج المدمنين المجهولين فعالا في التأثير على نسق القيم لدى المدمنين على المخدرات ؟

[1] هذه الدراسة أوردها الباحث صابر الموجود في كتابه (الجماعة المدمنين المجهولين) وسوف نقوم بعرض جزء منها في هذا المقال.

- ثانياً: أهداف البحث.

1. التعرف على الدور الذي يلعبه الاشتراك في برنامج جماعة المدمنين المجهولين في تغيير نسق القيم لدى المدمنين على المخدرات.
2. تقدير مدى تأثير الانضمام لجماعة المدمنين المجهولين على مدة التوقف عن تعاطي المخدرات لدى المدمنين عليها.
3. تقييم فعالية برنامج المدمنين المجهولين فعال في التأثير على نسق القيم لدى المدمنين على المخدرات، من خلال الدراسة السابقة حول اعتماد هذا البرنامج في علاج الإدمان.

- ثالثاً: أهمية البحث.

1- تتناول الدراسة أحد الجوانب التي لم تلق الاهتمـــام الـــلازم في البحـــوث الإمبيريقية – لاسيما العربية – وهى جماعات المساعدة الذاتية متمثلـــة في جماعة المدمنين المجهولين.

2- تُعد الدراسة أحد جوانب التقييم لمدى نجاح برنـــامج جماعـــة المـــدمنين المجهولين في المساهمة في علاج الإدمان.

3- تشتمل الدراسة على عملية تحقق من ارتباط الإدمان بنسق القـــيم لـــدى المدمنين على المخدرات.

4- تعد الدراسة تجربة طبيعية (أي رصد أحد المتغيرات تحدث بشكل طبيعـــي خارج المعامل) لأحد أساليب التدخل العلاجي (برنامج جماعة المـــدمنين المجهولين) لحل مشكلة الادمان وهى بذلك تتميز عن التجارب العلاجيـــة المصطنعة.

- ***تعريف جماعة المدمنين المجهولين***

تعريف الباحثون والمتخصصون: لجماعة المدمنين المجهولين فيتراوح بين وضع جماعة المدمنين المجهولين ضمن سياق أكبر أي باعتبارها إحدى جماعات المساعدة الذاتية أو المساعدة المتبادلة؛ وبالتالي فإن تعريفهم لجماعات المساعدة الذاتية ينصرف إلى جماعة المدمنين المجهولين بوصفها إحدى حالاتها، هذا من ناحية ومن ناحيةٍ أخرى يتناول بعض الباحثين جماعة المدمنين المجهولين بذاتها بعيداً عن هذا السياق الأكبر، وذلك كما يلي:

فعند تعريف المدمنين المجهولين في سياق المساعدة الذاتية أو المتبادلة يميز بعض الباحثين بين المساعدة الذاتية والمساعدة المتبادلة ويفضل وضع جماعة المدمنين المجهولين ضمن سياق المساعدة المتبادلة وليس الذاتية ويذكر سيبالا – بوصفه أحد هؤلاء الباحثين – أن غالبية الباحثين يشيرون إلى جماعات برنامج الاثنتى عشرة خطوة - تشمل جماعة المدمنين المجهولين بالطبع – كجماعات مساعدة ذاتية ولكن ذلك يُعد خطأً في التسمية – في رأى سيبالا – حيث إن جماعات الاثنتى عشرة خطوة تقوم على اجتماعات يتبادل فيها الأفراد المساعدة من أجل تحقيق هدف واحد وهو الامتناع عن التعاطي (Seppalla, 2001 : 9) .

ويبدو أن "سيبالا" قد أرجع مصطلح ذاتية إلى الأفراد بوصفهم أفراداً وليس إلى الجماعة ككل، وبالتالي يكون هناك مبرر لاستخدام مصطلح المتبادلة فهو أقرب للواقع. أما إذا قصدنا بمصطلح الذاتية أي ذات الجماعة في مقابل العالم الخارجي فإن مصطلح المساعدة الذاتية يكون مناسباً، حيث تساعد الجماعة ذاتها دون اللجوء للعالم الخارجي ، وعلى كلٍ فإن مصطلح المساعدة الذاتية يشيع استخدامه مع جماعات الاثنتى عشرة خطوة في علاج الإدمان.

- **هيكل العمل لجماعة المدمنين المجهولين وأهم الإجراءات فيها**

1- هيكل العمل لجماعة المدمنين المجهولين

ينقسم العمل داخل جماعة المدمنين المجهولين إلى الآتي :

كل ما يمكن أن نطلق عليه الأعمال الخدمية وهى تشمل كل الأعمـــال الخاصـــة بتقديم أعمال خدمية للأعضاء وذلك مثل عمل الشاي والقهوة والكنس وتجهيـــز الأماكن للاجتماعات، **أما** الأعمال الأخرى فهي ما يمكن تســـميتها بالأعمـــال الإدارية وهي الأعمال التي تشمل تنظيم عمل الجماعة بشكل عام. ويقوم بالأعمال داخل الجماعة سواء الخدمية أو الإدارية الأعضاء أنفسهم وذلك بشكل تطـــوعي كجزء من برنامج علاجهم؛ حيث يشجع البرنامج على الأعمال التطوعية داخـــل الجماعة كسلوك مخالف للسلوك الادمادني، كما أن الأعضاء لا يجدون غضاضة من العمل التطوعي داخل الجماعة كجزء من رد الجميل (Seppalla,2001:19,20).

2- أهم الإجراءات داخل جماعة المدمنين المجهولين

هناك مجموعة من الإجراءات التي تتم داخل جماعة المدمنين المجهولين تشـــكل في النهاية العنصر الفعال فيها ورغم تفاعل هذه الإجراءات وتداخلها مع بعضـــها البعض إلا إننا يمكننا تقسيمها إلى خمسة إجراءات أو نشاطات أساســـية وذلـــك بغرض التوضيح وهذه النشـــاطات هـــي: حضـــور الاجتماعـــات Meetings Attendance وعمل الخطـــواتSteps doing واختيـــار مشـــرف Sponsor selection وقراءة الكتابات Litterateur reading و النشاطات الخدمية Service Activities ، وسنعرض في الفقرة التالية لكل نشاط من هذه النشاطات بشئ مـــن التفصيل .

أ- حضور الاجتماعات:

يعتبر حضور الاجتماعات من أهم النشاطات داخل جماعة المدمنين المجهولين إن لم يكن أهمها على الإطلاق فمن خلال هذا النشاط تتم – في الغالب – باقي النشاطات أو الإجراءات الأخرى أو على الأقل يتعرف معظم الأعضاء على أهم الإجراءات في الجماعة من خلال هذه الاجتماعات، ويجتمع المدمنون المجهولون عدد من المرات أسبوعياً (يختلف عدد الاجتماعات في كل مجموعة وإن كان عدد الاجتماعات الشائع هو سبعة اجتماعات أسبوعياً أي اجتماع يومياً) وتنقسم الاجتماعات إلى أنواع كثيرة تبعاً لمحك التقسيم فتبعاً لمحك المحتوى يوجد أنواع عديدة من الاجتماعات؛ فمثلاُ يوجد اجتماع "المتحدث" الذي ينقل فيه أحد أعضاء الجماعة المتعافين خبرته إلى الآخرين في موضوع معين كما يوجد اجتماعات يناقش فيها كتاب من كتب المدمنين المجهولين أو إحدى خطوات الجماعة الاثنتي عشرة كما تنقسم الاجتماعات تبعاً لمحك الحضور إلى اجتماعات مغلقة واجتماعات مفتوحة والأولى هي الاجتماعات التي يحضرها كل من لديه مشكلة مع المخدرات فقط (أي المدمنين فقط) أما الأخرى فيسمح للأفراد غير المدمنين بحضور الاجتماع، ولكن يطلب منهم عدم المشاركة، كما تنقسم الاجتماعات تبعاً لبعض الممارسات التي تتم فيها.

أ- عمل الخطوات :

يمثل عمل الخطوات أهم محكات تقدم العضو نحو التعافي في جماعة المدمنين المجهولين فغالباً ما يقاس مدى نجاح العضو في البرنامج بناء على تقدمه في عمل الخطوات، والمشرف هو الشخص المسئول عما إذا كان العضو قد استوعب الخطوة المعينة أم لا وذلك بناء على خبرة المشرف الشخصية وتقييمه الذاتي لذلك يجب على المشرف أن يكون قد مر هو نفسه بعمل الخطوة محل الاهتمام.

ب- **اختيار مشرف :**

يقوم العضو الجديد في جماعة المدمنين المجهولين باختيار أحد الأعضاء النشطاء داخل الجماعة ليكون مشرفاً عليه ، ولا توجد قواعد محددة لاختيـــار المشـــرف فالعضو يختار المشرف الذي يشعر نحوه بارتياح أو ألفة، وغالباُ ما يحدث ذلك أثناء حديث هذا المشرف في الاجتماع ويتم التعارف بعد الاجتماع حيث يقدم العضو الجديد نفسه للمشرف ويعرض عليه رغبته في أن يكون تحت إشرافه وقـــد يقبـــل المشرف العضو الجديد، أو يقترح عليه مشرفاً آخر وذلك تبعا لظروف المشـــرف الشخصية ثم يتبادل العضو والمشرف وسائل الاتصـــال (رقـــم الهـــاتف، البريـــد الالكتروني. . . الخ) ليكون المشرف متاحا لمساعدة العضو معظم الوقـــت إن لم يكن كل الوقت .

ت- **قراءة الكتابات الخاصة بجماعة المدمنين المجهولين:**

تعد قراءة الكتابات من أيسر النشاطات داخل جماعة المدمنين المجهولين، وغالباً ما يطلب من الأفراد الذين يرفضون حضور اجتماعات المدمنين المجهولين أن يقرؤوا عن هذه الجماعة وأكثر المواد التي يطلب من عضو الجماعة قراءتها هـــو كتـــاب المدمنين المجهولين الأساسي أو ما يطلق عليه الكتاب الأزرق، وهو كتاب يحتـــوى على خطوات المدمنين المجهولين الاثنتى عشرة وتقاليدهم الاثنى عشر بالإضـــافة إلى التعريف ببرنامج المدمنين المجهولين وأهدافه، وبه أيضا بعض القصص الواقعية عـــن أعضاء من المدمنين المجهولين.

ث- **النشاطات الخدمية:**

على الرغم من أن النشاطات الخدمية لا يقوم بها كل الأعضـــاء مثـــل بـــاقي النشاطات فإنها تُعد أساسية داخل جماعة المدمنين المجهولين ويقوم العضو بالنشاط الخدمي بناء على اختيار الجماعة له (كسكرتير الجماعة مثلاً) أو بناء على أمر من

مشرفه أو كجزء من عمل الخطوات (كأن يقوم أحد الأعضاء بنقل الرسالة للمدمنين في المستشفيات أو السجون) .

- **نص الخطوات الاثنتى عشرة لبرنامج المدمنين المجهولين**

- الخطوة الأولى: اعترفنا أننا بلا قوة تجاه إدماننا، وأن حياتنا أصبحت غير قابلة للإدارة.
- الخطوة الثانية: توصلنا إلى الإيمان بأن هناك قوة أعظم من أنفسنا باستطاعتها أن تعيدنا إلى الصواب
- الخطوة الثالثة: اتخذنا قراراً بتوكيل إرادتنا وحياتنا لعناية الله كما نفهمه.
- الخطوة الرابعة: قمنا بعمل مراجعة أخلاقية متفحصة وبلا خوف عن أنفسنا.
- الخطوة الخامسة: اعترفنا لله ولأنفسنا، ولشخص آخر بالطبيعة الحقيقية لأخطائنا.
- الخطوة السادسة: كنا مستعدين تماماً لأن يزيل الله عنا كل هذه العيوب الشخصية.
- الخطوة السابعة: طلبنا من الله بخشوع أن يخلصنا من نواقصنا الشخصية.
- الخطوة الثامنة: وضعنا قائمة بأسماء كل الأشخاص الذين آذيناهم، وعقدنا العزم على تعويض أو إصلاح ما بدر منا من الأذى لهم جميعاً.
- الخطوة التاسعة: قدمنا الإصلاحات أو التعويضات المباشرة لهؤلاء الأشخاص كلما أمكن ذلك، إلا إذا كان ذلك سوف يضر بهم أو بالآخرين.
- الخطوة العاشرة: واصلنا عمل المراجعة لأنفسنا، واعترفنا بأخطائنا أولاً بأول.
- الخطوة الحادية عشرة: سعينا من خلال الدعاء والتأمل إلى تحسين صلتنا بالله ، راجين من الله أن يوفقنا لتقبل ما قدره لنا ، وأن يعطينا القوة على تنفيذه.
- الخطوة الثانية عشرة: نتيجة لتحقق صحوة روحية لدينا باتباع هذه الخطوات حاولنا أن نحمل هذه الرسالة للمدمنين وممارسة هذه المبادئ في شؤوننا.

2- تعليق الباحث على الخطوات الاثنتى عشرة لبرنامج المدمنين المجهولين

تمثل الخطوات في برنامج المدمنين المجهولين معايير أو محكات التقـــدم نحـــو التعافي، وتُعد **الخطوة الأولى** مفتاح هذا التقدم؛ فالمدمن يظل غالباً متمسكاً بوهم السيطرة على الأمور وأنه يستطيع أن يتحكم في مجريات حياتـــه رغـــم تعاطيـــه للمخدرات وأنه-وإن كان ثمة خطأ- فليس في تعاطيه هذه المواد غير أن الواقـــع غالباً ما يواجه المدمن بصدمات متتالية حتى يبدأ إحساســـه بوجـــود مشـــكلة في الظهور.

يقتنع المدمنون المجهولون أن **الخطوة الثانية** تعد نتيجة حتمية للخطوة الأولى: فبعد أن يرى المدمن عجزه وقلة حيلته – يتحتم عليه رجاء المساعدة من قوة أعظم منه وفى هذا الصدد يذكر المدمنون المجهولون "تتركنا الخطوة الأولى ونحن بحاجـــة للإيمان بشئ يمكنه مساعدتنا في عجزنا، وفى عدم جدوانا وفى قلة حيلتنا" (المدمنين المجهولين، 2003: 25) ، ومن ثم تصبح الوظيفة الأساسية للمدمن في هذه الخطوة هي مجرد الاقتناع أو الإيمان بوجود قوة أعظم من إرادته ومن نفسه هي التي ستقدم له يد العون في مشكلة إدمانه بعد اعترافه بعجزه عن التصرف فيها.

وبعد أن يؤمن المدمن بالقوة الأعظم يتخذ قراراً في **الخطوة الثالثة** بتوكيل إرادته وحياته لعناية القوة الأعظم (الله) كما يفهمها، وفى هذه الخطوة يبدو أن المـــدمن أكثر ايجابية من سابقتها حيث "يتخذ قراراً" بأن يوكل للقوة التي آمن بها في الخطوة الثانية إرادته وحياته، ويبدو أن المدمن في هذه الخطوة يستبدل توكيل إرادته لإدمانه بتوكيل هذه الإرادة إلى عناية القوة التي يؤمن بها. ويؤكد المدمنون المجهولـــون في هذه الخطوة أن عبارة (الله كما نفهمه) تعنى أننا لسنا مضطرين لأن نكون متدينين لعمل هذه الخطوة، كما أن مفهومنا عن الله – في هذه الخطوة لا يأتي من مذهب ديني ولكن مما نؤمن به وينجح معنا (المدمنين المجهولين، 2003، 26).

بعد أن يوكل المدمن إرادته وحياته لعناية الله يتجه نحو أولى خطوات المواجهة الفعلية بينه وبين نفسه حيث يقوم في **الخطوة الرابعة** بعمل مراجعة أخلاقية متفحصة وبلا خوف لنفسه، وهي خطوة تعتبرها جماعة المدمنين المجهولين حاسمة رغم صعوبتها. وفي هذا الصدد تشير الجماعة في كتابها الأزرق عن هذه الخطوة " بينما نقبل على هذه الخطوة ينتاب أغلبنا الخوف من أن بداخلنا وحشاً سيدمرنا إذا ما أُطلق سراحه، وقد يدفعنا هذا الخوف إلى تأجيل مراجعتنا أو حتى إلى صرف النظر نهائياً عن هذه الخطوة الحاسمة" (المدمنون المجهولون، 2003: 29)، وتتعلق هذه الخطوة بموقف المدمن من تعاطيه للمخدرات وكيف أدى هذا التعاطي إلى مجموعة من السلبيات التي لا يقبلها وهي تمثل مرآة عاكسة للواقع الفعلي للإدمان الذي يصر المدمن طوال الوقت على تجنبه حتى لا يتعرض لألم مواجهته.

وبعد أن يقوم المدمن بعمل هذه المراجعة الأخلاقية الأمينة ينتقل إلى الخطوة التالية **(الخطوة الخامسة)** وهي أن يعترف بأخطائه التي ظهرت له في هذه المراجعة أولاً لنفسه ثم لله ثم لشخصٍ آخر يثق به. والاعتراف بهذه الأخطاء يُعد أهم الوسائل للتخلص منها حيث يبدأ المدمن في مواجهتها ، وتتضمن هذه الخطوة تحقيقاً لمبادئ جماعة المدمنين المجهولين الأساسية: فأولاً يواجه المدمن عيوبه وأخطاءه ويعترف بها لنفسه، ثم يعترف بها للإله الذي آمن به وأوكل عنايته له، وبعد ذلك تخرج هذه الأخطاء من حدود فردية المدمن إلى فرد آخر يثق فيه ولا تشترط الجماعة أن يكون هذا الفرد من داخلها والشرط الأساسي أن يثق فيه المدمن وأن يكون متفهماً لمشكلته (انظر : المدمنون المجهولون ، 2003 : 31-33)

ثم ينتقل المدمن بعد إتمام هذه الخطوة إلى **الخطوة السادسة** والتي تطلق عليها جماعة المدمنين المجهولين خطوة "النية" (المرجع السابق : 34) حيث يكون لدى المدمن استعداد تام لأن يزيل الله كل العيوب الشخصية التي اكتشفها في الخطوة الرابعة واعترف بها في الخطوة الخامسة . أما **الخطوة السابعة** فيمكن أن نطلق

عليها خطوة دعاء حيث يسأل المدمن إلهه أن يخلصه من نقائصه الشخصية وتشير جماعة المدمنين المجهولين إلى أن أهم ما يميز هذه الخطوة هي التواضع حيث يتواضع المدمن ليتقبل نفسه ويتواضع ليتقبل رأي الآخرين كما أنه يتواضع بالدعاء لله كي يتخلص من عيوبه ونقائصه الشخصية .

أما **الخطوة الثامنة والتاسعة** فيمكن أن نطلق عليهما خطوتا رد الديّن حيث يقوم المدمن في **الخطوة الثامنة** بعمل قائمة بكل الأشخاص الذين آذاهم ويعقد العزم على تقديم إصلاحات لهم جميعاً ثم يقوم في **الخطوة التاسعة** بتقديم إصلاحات مباشـــرة لهؤلاء الأشخاص، والشرط الوحيد لهذه الخطوة ألا ينتج ذلك مزيداً من الأذى أو يكون هذا التعويض على حساب شخصٍ آخر وتنصح الجماعة أن يتم الاســـتعانة في المشاكل القانونية والمالية بمتخصصين كالمحامين (المرجع السابق: 37-39).

وتأتي **الخطوة العاشرة** تنشيطاً لما تم في الخطوتين الرابعة والخامســـة حيـــث يواصل المدمن عمل المراجعة الشخصي والاعتراف بأخطائه ألاً بأول وتساعد هذه الخطوة – كما تذكر جماعة المدمنين المجهولين في كتابها – الكتـــاب الأزرق – في حل المشكلات الحياتية الحاضرة ، وهي خطوة تحث على الوعي بالمشاعر والدوافع واختبار مدى صلاحيتها أو فسادها وهي أحد الجوانب التي تســـهم في المعرفـــة بالذات والتخلص من العيوب والمشكلات الشخصية.

أما **الخطوة الحادية عشرة** فيمكن أن نطلق عليها خطوة الإيمان؛ حيث يسعى المدمن من خلالها إلى تحسين صلته الواعية بالله كما يفهمه وذلك عن طريق الدعاء والتأمل، وتذكر جماعة المدمنين المجهولين عن هذه الخطوة " الهدف مـــن هـــذه الخطوة هو زيادة وعينا بالقوة الأعظم وتحسين قدرتنا على استخدامها كمصـــدر للقوة في حياتنا الجديدة... كلما حسنا صلتنا الواعية بالله من خلال الدعاء والتأمل ، كلما أصبح من الأسهل قول (فلتكن إرادتك، لا إرادتي) ...إن الخبرات الـــتي

يتحدث عنها بعض الناس بشأن التأمل والمعتقدات الدينية الشخصية لا تنطبق دائماً علينا . إن برنامجنا روحياً وليس دينياً ... خارج نطاق المدمنين المجهولين هناك عدد لا حصر له من المجموعات المختلفة التي تمارس التأمل، ومعظم هذه المجموعات مرتبطة بدين أو فلسفة معينة وأي تأييد لأي من تلك الأساليب يُعد خرقاً لتقاليدنا وتقييداً لحق الفرد في الإيمان بالله كما يفهمه " (المدمنون المجهولون ، 2003 : 42-46) ويلاحظ تأكيد الجماعة اختلافها عن الممارسات الدينية القائمة بالفعل لدى الجماعات المختلفة وعدم ارتباطها بها حيث يهدد ذلك كيان الجماعة ككل.

تمثل **الخطوة الثانية عشرة** أهم الممارسات التي يقوم بها المدمن بعد تعافيه يحافظ بها على استمراره في هذا التعافي وفي نفس الوقت يحافظ على استمرار الجماعة حيث يحمل المدمن الذي تعافى – من خلال الخطوات السابقة – رسالة التعافي إلى معتمد مازال يعاني، وممارسة مبادئ التعافي في جميع شؤونه. ولممارسة هذه الخطوة يذهب أعضاء الجماعة إلى المؤسسات الاجتماعية التي يوجد بها معتمدون على المخدرات (المستشفيات والسجون) لتوصيل الرسالة، وجدير بالذكر أن أحد المدمنين الذي يمارسون هذه الخطوة قد أشار للباحث إلى أن مساعدة المتخصصين في علاج الإدمان للمدمن تتعلق بنواحٍ مادية ووظيفية لديهم في حين تتعلق مساعدة معتمد لآخر بحياة كليهما.

وجديرُ بالذكر أن نشير إلى أن من يحدد اكتمال هذه الخطوات هو المشرف الذي يحددها بناءً على بعض العلامات التي تعلمها من خلال مروره بنفس الخبرات داخل الجماعة فمثلاً قد يعد اعتراف المدمن بأنه أصبح بلا حول ولا قوة تجاه المادة النفسية التي يتعاطاها إحدى علامات الخطوة الأولى ، ويختلف الزمن الذي يقضيه المدمن في كل خطوة تبعاً لجهده في أداء ما يطلبه المشرف منه، ويختلف هذا الزمن كذلك تبعاً لتقدير كل مشرف.

1- التقاليد الاثنى عشر لجماعة المدمنين المجهولين

- التقليد الأول: إن مصلحتنا المشتركة يجب أن تـــأتى في المقدمـــة، والتعـــافي الشخصي يعتمد على وحدة المدمنين المجهولين.
- التقليد الثاني: في مجموعتنا لا توجد سوى سلطة عليا واحدة: إله محب كما قد يعبر عن مشيئته في ضمير مجموعتنا، وما قادتنا إلا خدم مؤتمنون لا يحكمون.
- التقليد الثالث: المطلب الوحيد للعضوية هو الرغبة في الامتناع عن التعاطي.
- التقليد الرابع: يجب على كل مجموعة أن تكون مستقلة بذاتها إلا في الأمور التي تؤثر على مجموعات أخرى أو المدمنين المجهولين ككل.
- التقليد الخامس: كل مجموعة ليس لها سوى هدف أساسي واحد هـــو حمـــل الرسالة للمدمن الذي مازال يعاني.
- التقليد السادس: لا يجوز أبداً لأي مجموعة من المدمنين المجهولين أن تؤيـــد أو تمول أو تعير اسم المدمنين المجهولين لأي مرفق ذو نشاط مشابه أو مشـــروع خارجي لكي لا تتسبب مشاكل المال أو الممتلكات أو الجاه في تحويلنا عـــن هدفنا الأساسي.
- التقليد السابع: يجب على كل مجموعة من المدمنين المجهولين أن تعتمد علـــى نفسها بالكامل وأن ترفض المساهمات الخارجية.
- التقليد الثامن: جماعة المدمنين المجهولين يجب أن تبقى للأبد غير مهنية ولكـــن مراكز خدمتنا قد توظف موظفين متخصصين.
- التقليد التاسع: جماعة المدمنين المجهولين بهذا المفهوم لا ينبغي أبداً أن تكـــون منظمة، ولكننا قد ننشئ مجالس خدمة أو لجان تكون مسئولة مباشرةً نحو من تخدمهم .

- التقليد العاشر: جماعة المدمنين المجهولين ليس لها رأى في القضايا الخارجية، لذلك لا ينبغى أن يُجر اسمهم إلى أي جدل علني.
- التقليد الحادي عشر: إن سياستنا في العلاقات العامة قائمة على الجذب بدلاً من الدعاية فنحتاج دائماً إلى أن نحافظ على المجهولية الشخصية على مستوى الصحافة والإذاعة والأفلام.
- التقليد الثاني عشر: المجهولية هي الأساس الروحي لكل تقاليدنا، تذكرنا دائماً وأبداً أن نقدم المبادئ على الشخصيات.

2- تعليق على التقاليد الاثنى عشر لجماعة المدمنين المجهولين.

تعتبر هذه الخطوات الاثنتى عشرة للمدمنين المجهولين معايير أو محكات للتقدم في اتجاه التعافي، لذلك فإن التقاليد الاثنى عشر تعد بمثابة قواعد منظمة لعمل الجماعة فهي تشبه بالنسبة للمجتمع بينما تشبه الخطوات القيم والأعراف في هذا المجتمع ومثلما تأتى القوانين في المجتمع كمرحلة تالية تكونه وتشكله فإن التقاليد الاثنى عشر قد جاءت في مرحلة تالية لتشكل جماعة الاثنتى عشرة خطوة، فيذكر سيبالا أن نشأة الخلافات وكثرتها داخل جماعات الكحوليين المجهولين قد دعت مؤسسيها إلى وضع التقاليد الاثنى عشر لتنظيم العمل داخل الجماعة بوحدتها (أي وحدة الجماعة).

- **تقييم جماعة المدمنين المجهولين:**

نحاول في هذا الجزء جماعة المدمنين المجهولين من حيث الايجابيات والسلبيات. والهدف من ذلك هو وضع هذه الجماعة على محك التقييم، أو على الأقل تقديم المبرر لعدد من التساؤلات التي قد يثيرها النقد لهذه الجماعة مثل:

هل هناك حاجة لمثل هذه الجماعة في المجتمع بعامة والمجتمع العربي بصفة خاصة؟ وهل هناك اختيار لقيام مثل هذه الجماعة أو عدم قيامها؟ وهل يمكن للمجتمع أن ييسر أو يعوق عمل مثل هذه الجماعة؟ وهل لهذه الجماعة فعالية

حقيقة في مواجهة مشكلة الإدمان؟ وما قيمة هذه الفعالية في وجـــود الأســـاليب الأخرى للمواجهة؟ وهل تختلف قيمة هذه الجماعة مقارنة بالأســـاليب الأخـــرى لعلاج الإدمان باختلاف الثقافات ؟ وإذا كانت إجابة هذه التساؤلات تؤيـــد إلى حدٍ ما فعالية هذه الجماعة، فما الذي تفعله هذه الجماعة ليكون لها هـــذا الـــدور الفعال ؟ وفى هذه الحالة فهل لباقي أفراد المجتمع (غير أعضـــاء الجماعـــة) دور في الإسراع بفعالية دور الجماعة وانتشارها؟ كل هذه التساؤلات وغيرها يمكـــن أن يثيرها التعرض لنقد جماعة المدمنين المجهولين فنحن بصدد القيام بهذا النقد لعرض ما نراه من إيجابيات وسلبيات هذه الجماعة مؤيدين رأينا – ما أمكننا ذلك - بالأدلة الإمبيريقية أو النظرية أو آراء باحثين آخرين أو عاملين في مجال الإدمان أو الخـــبرة الخاصة بالباحث.

- **أولاً: إيجابيات جماعة المدمنين المجهولين:**

في عرضنا لإيجابيات جماعة المدمنين المجهولين نرى أنه يمكننا تناول هـــذه الإيجابيات تبعاً لثلاثة عوامل مختلفة؛ فهناك إيجابيات خلفتها طبيعة المشكلة نفسها (الإدمان)، وهناك إيجابيات خاصة بجماعة المدمنين المجهولين بوصفها جماعة علاجية أي أنها إيجابيات اكتسبتها جماعة المدمنين المجهولين من مزايا العلاج الجمعي مقابل العلاج الفردي، وهناك إيجابيات خاصة بطبيعة جماعة المدمنين المجهولين والبرنامج الذي تقدمه.

1- إيجابيات نشأت عن طبيعة مشكلة الإدمان:

- طبيعة الإدمان من حيث تأثيره السلبي وانتشاره

إن العاملين في مجال علاج الإدمان على المخدرات أو الأفراد الذين تمســـهم المشكلة سواء من قريب أو بعيد يدركون تماماً مدى الحاجة إلى أسلوب أو طريقة مواجهة المشكلة. و يمثل الإدمان صعوبة من جانبين: **الجانب الأول** مـــن حيـــث

كونه مشكلة تواجه فرداً من أفراد المجتمع (المدمن) وتقلب حياته رأساً على عقب (أي تدمرها)، وتجعله غير قادر على القيام بوظائفه على الوجه المتوقع منه، كما إنها تسبب له العديد من المشكلات سواء النفسية أو الجسمية أو الاجتماعية، بالإضافة إلى أن ما يسببه الإدمان من ارتباك ينسحب على الأفراد المحيطين من المدمن لاسيما أسرته أو الأفراد الذين يهمهم أمره. ومع كل ذلك فإن هناك حيرة شديدة تصيب أصحاب هذه المشكلة عما يجب فعله تجاهها ومن هذا الجانب فإن أي جهة تزعم أنها تقدم حل للمشكلة أيا كانت طبيعتها – فإنها تمثل مخرجاً لهذا المدمن و ذويه من كارثة الإدمان.

أما الجانب الآخر، فهو الانتشار الواسع لتعاطى المخدرات والإدمان عليها وما يمثله هذا الانتشار من عبء شديد على وسائل المواجهة التي يخصصها المجتمع لمثل هذا الانتشار فهذه الوسائل – بغض النظر عن جدواها أو عدم جدواها – لا تستطيع وحدها أن تنفرد بالمواجهة، ومن هذا الجانب أيضا يبرز دور جماعة المدمنين المجهولين كأحد وسائل المواجهة، ومن هنا فإن طبيعة الإدمان من حيث تأثيره السلبي على الفرد والمحيطين به أو من حيث انتشاره في المجتمع تسمح بقبول مبدئي لجماعة المدمنين المجهولين كوسيلة للمواجهة قبل النظر في الفعالية أو عدم الفعالية سواء لها أو لباقي الأساليب الأخرى.

- طبيعة الإدمان من حيث تأثيره (كونه مرض وصمة):

تدور كثير من المناقشات حول الإدمان من حيث كونه مرضاً أم جريمة؟ ولا يثار هذا التساؤل بين العامة وغير المتخصصين فحسب، بل يثيره كثير من المتخصصين وبعض الباحثين في ظاهرة الإدمان، وإثارة مثل هذا التساؤل يعنى أن المدمن يقع تحت ضغط اجتماعي شديد تخلقه قناعة كثير من أفراد المجتمع أن المدمن شخص منحرف خرج عن تقاليد المجتمع ومعاييره بإرادته واختياره؛ وبالتالي فهو يستحق العقاب والجزاء بدلاً من المساعدة والعلاج وفي هذا الصدد يشير كل من

ميلر و شابيل إلى أن نظرة الناس للكحولي بوصفه مسئولاً ولو بشكل جزئي عـــن مرضه -تختلف عن نظرتهم إلى الفصامي على الرغم مـــن أن كـــلا الاضـــطرابين (الكحولية و الفصام) من الاضطرابات النفسية، ومن ثم فإن للإدمان نظرة من قبل المجتمع تختلف حتى عن أكثر الاضطرابات النفسية حدة. ومن هذا الجانب يظهـــر دور جماعة المدمنين المجهولين من حيث كونها الملجأ الآمن الذي يشعر فيه المـــدمن بأنه شخص عادي أو قريب من العادي، وبأنه ليس منبوذاً من كـــل الجماعـــات حيث يوجد أفراد آخرين (أعضاء الجماعة الآخرين) يعانون من مشكلته نفســـها ويحاولون مواجهتها وفى الوقت نفسه يتقبلونه (أي المدمن) على حاله، بل إن قبوله كأحد أفراد الجماعة مشروط بكونه معتمداً وهذا القبول لا يجده المدمن – علـــى الأغلب – في أي جماعة أخرى من جماعات المجتمع. (مصطفى ســـويف، 1996: 220-217)

2- إيجابيات خاصة بجماعة المدمنين المجهولين بوصفها جماعة علاجية

تتمتع جماعة المدمنين المجهولين بوصفها جماعة علاجية بكل الإيجابيات الـــتي يتميز بها العلاج الجمعي عن العلاج الفردي، وفي هذا الصدد يشير ســـيرلز إلى أن العلاج الجمعي يتميز عن العلاج الفردي بأنه يتيح فرصة لاقتصاد الوقت والجهـــد والتكلفة، و يتيح فرصة لكسر ميكانزم الإنكار لاسيما في الاضطرابات التي تتسم بمثل هذه الخاصية (الإنكار)، كما يقدم العلاج الجمعي مقارنة بالعلاج الفـــردي فرصة لتعلم المهارات الاجتماعية، بالإضافة إلى أنه يساعد على تكوين شبكة مـــن العلاقات (*Schut, J* 1993: 325).

3- إيجابيات خاصة بطبيعة جماعة المدمنين المجهولين والبرنامج الذي تقدمه:

3/ أ- المجانيـــة

إن من الايجابيات التي تتمتع بها جماعات المساعدة الذاتية بصفة عامة وجماعة المدمنين المجهولين بوجهٍ خاص هي كونها جماعات علاجية بدون رسوم اشـــتراك، وتُعد المجانية سمة إيجابية خاصةً إذا نظرنا إليها في ظل ارتفـــاع تكـــاليف عـــلاج الإدمان، لاسيما الأماكن الخاصة، كما أن الخسائر الكثيرة التي يتكبدها المدمن أثناء فترة إدمانه تجعل مسألة وجود حل مجاني مفضلة لديه.

بَيْدَ أن المجانية ليست سمة قاصرة على جماعة المدمنين في علاج المدمنين علـــى المخدرات؛ فقد أُنشئت بعض الجهات لتقدم العلاج للمدمنين بشكل مجاني (الخط الساخن التابع لصندوق مكافحة وعلاج الإدمان التابع لرئاسة مجلس الوزراء على سبيل المثال)، كما أن بعض المستشفيات التابعة لوزارة الصحة تقدم خدمة علاج الإدمان برسوم رمزية – بالنسبة لعلاج المستشفيات والمراكز الخاصة - منذ فترة مبكرة نسبياً (مستشفى الصحة النفسية بالعباسية على سبيل المثال) ، بالإضافة إلى أن البعض يلقي بظلال من الشك على جدوى مجانية العلاج نظراً لتوقع احتمـــال انخفاض دافعية المدمن في تنفيذ برنامج العلاج أو عدم الاكتراث به لكونه مجانياً إما لشيوع توقع انخفاض جودة العلاج، لا داعي لها لكونه مجاني أو لعـــدم وجـــود خسائر مادية .

3/ب- إتاحة الدخول Accessibility

إن من أهم ما تتميز به جماعة المدمنين المجهولين أنها؛ إذ لا تضـــع شـــرطاً لعضويتها حيث لا تمنع فروق النوع أو الجنسية أو اللغة أو الديانة من الانضـــمام للجماعة وذلك على حد قول كتاب الجماعة نفسه (انظـــر: كتـــاب المـــدمنين المجهولين، 2003:)، والشرط الوحيد للعضوية هو الرغبة في الانقطاع عن التعاطي وهو بذلك لا يُعد شرطاً. وبذلك تُعد جماعة المدمنين المجهولين ذات إيجابية خاصة

لكونها متاحة لجميع المدمنين دون تمييز وهو ما لا يتوفر – في رأي الباحـــث – في أي جهة علاجية؛ فغالباً ما تضع أماكن العلاج لاسيما الرسمية منها (الحكومية) شروطاً لتقديم الخدمة، كأن تضع جهة علاجية ما شرط الجنسية لمـــن يتقـــدمون للعلاج (تُقدم خدمة العلاج في الخط الساخن مثلاً للجزائريين فقط).

3/ج- إتاحة التواجد Availability

تتميز جماعة المدمنين المجهولين عن برامج العلاج الأخرى، سواء الفرديـــة منها أو الجماعية، بكونها جماعة تتوافر معظم الوقت، فجماعة المدمنين المجهـــولين تنظم اجتماعاتها يومياً في كثير من الغرف التي تســـتأجرها الجماعـــة لأداء هـــذا الغرض،كما أن بعض المجموعات تنظم اجتماعات أكثر من مرة يوميـــاً ، هـــذا بالإضافة إلى أن جماعة المدمنين المجهولين قد أنشأت خطاً ساخناً لإتاحة التواصـــل بين أعضائها أطول فترة ممكنة سواء تليفونياً أو عـــن طريـــق الاتصـــال بالبريـــد الالكتروني Internet chatting ، علاوة على أن وجود راعٍ Sponsor لكل مريض كإجراء من إجراءات البرنامج يوفر فرصة أخرى لتواجد المساعدة المتصـــلة مـــن خلال الاتصال بين عضو البرنامج وراعيه.

3/د- الروحانية Spirituality

لكي نضع الروحانية كميزة لجماعة المدمنين المجهولين علينا أن نتناولهـــا مـــن جانبين؛ يتعلق الجانب الأول بكونها سمة مميزة لجماعة المدمنين المجهولين أما الجانب الآخر فهو يتعلق بكون الروحانية من المتغيرات المرتبطة سلبياً بالإدمان، وفيما يتعلق بالجانب الأول فإن تاريخ نشأة جماعة المدمنين المجهولين يشير بوضوح إلى أهميـــة الخبرة الروحية كأساس لنشأة هذه الجماعة (انظر الفصل الثاني، تـــاريخ جماعـــة المدنين المجهولين – ص 32) كما أن كثيراً من الخطوات الاثنتي عشر تنص صراحةً أو ضمناً على هذا الجانب الروحي بالإضافة إلى أن سيبالا يخصص فصلاً كاملاً عن

الروحانية بوصفها سمة مميزة لجماعات الاثنتى عشرة خطوة في كتابه المعنون " مرشد إكلينيكي لمبادئ ألاثني عشرة خطوة Clinician guide to the twelve step principles " (Seppala, 2001: 5-31)، أما فيما يتعلق بكون الروحانية ترتبط سلبياً بالادمان فإن هناك من الباحثين من يؤكد دور الروحانية في مواجهة الضغوط المختلفة ومن بينها الادمان والمساعدة على التوافق الإيجابي مع هذه الضغوط أو التخلص منها.

3/د- المجهولية Anonymity

تتميز جماعة المدمنين المجهولين عن باقي الجماعات العلاجية للإدمان بتأكيدها على المجهولية بوصفها تقليداً أساسياً في الجماعة؛ تم التأكيد على المجهولية من خلال تقليدين من التقاليد الاثنى عشر للجماعة وهما التقليد الحادي عشر" إن سياستنا في العلاقات العامة قائمة على الجذب بدلاً من الدعاية فنحتاج دائماً إلى أن نحافظ على المجهولية الشخصية على مستوى الصحافة والإذاعة والأفلام" والتقليد الثاني عشر " المجهولية هي الأساس الروحي لكل تقاليدنا، تذكرنا دائماً وأبداً أن نقدم المبادئ على الشخصيات"، ولا يعني ذلك أن الجماعات العلاجية الأخرى لا تهتم بالمجهولية بالنسبة لأعضائها ولكن إجراءات التسجيل للعلاج وعمل ملف علاجي وغيرها من إجراءات تحديد الهوية قد تمثل – رغم أهميتها- أحد العوائق التي قد يدركها المدمن عند توجهه للعلاج، وخلو جماعة المدمنين المجهولين من هذه الإجراءات – حيث لا يطلب من المدمن أن يذكر سوى الاسم الأول فقط للمجموعة متبوعاً بلفظ مدمن – تُعد ميزة قد تجذب المدمن للانضمام إليها.

3/ه- الخدمة العلاجية كهدف مصيري

يختلف الهدف من الخدمة العلاجية في جماعة المدمنين المجهولين عن الهدف من الخدمة العلاجية في الجماعات العلاجية الأخرى (جماعات المحترفين)؛ حيث تمثل الخدمة العلاجية في جماعة المدمنين المجهولين الطريقة التي يحافظون بها على تعافيهم

أي أنها مسألة مصيرية؛ ومن ثم فإن التهاون أو الإهمال في أداء الخدمـــة أو تقـــديم المساعدة يمثل تقصيراً في الالتزام بمتطلبات التعافي بينما قد تتعلق الخدمة العلاجيـــة لدى الجماعات الأخرى بمسائل الكفاءة المهنية وتحقيق الطموح الوظيفي وهـــي جوانب – رغم أهميتها – فإن التقصير أو الإهمال فيها قد لا يتساوى مع الإهمال في مبادئ التعافي.

- **ثانياً: سلبيات جماعة المدمنين المجهولين:**

يمكننا النظر إلى سلبيات جماعة المدمنين المجهولين من خلال العوامل الثلاثة التي ذكرناها عند طرحنا للإيجابيات؛ إذ إن ثمة منظوراً آخر يمكن طرحه لكل عامل من العوامل السابقة بحيث يمثل جوانب سلبية في جماعة المدمنين المجهولين وليس جوانب إيجابية؛ فهناك بعض العوامل السلبية في جماعة المدمنين المجهولين تتعلـــق بالإدمـــان كاضطراب وعوامل ثانية تتعلق بجماعة المدمنين المجهولين كجماعة علاجية وعوامل ثالثة تتعلق بجماعة المدمنين المجهولين في حد ذاتها، ونعرض في الفقرات التالية لهذه العوامل بشيء من التفصيل.

1- سلبيات تتعلق بالادمان كونه اضطراباً

لما كان الإدمان اضطراباً، فهو بحاجة إلى محترفين لمواجهة هـــذا الاضـــطراب ومساعدة الواقعين فيه، وإحدى الانتقادات التي تتعرض لها جماعة المدمنين المجهولين هي أنها لا تشتمل على محترفين في ممارسة علاج الإدمان، لاسيما وأن الإدمان في جميع مراحل علاجه يتطلب وجود هؤلاء المحترفين المتخصصين في العلاج سواء في مرحلة إزالة التسمم أو زيادة الدافعية للعلاج أو التغيير المعرفي لنســـق معتقـــدات المدمن أو التأهيل النفسي والاجتماعي له. وعلى الرغم من أن تقاليد الجماعـــة لا تقضي بنبذ الممارسات العلاجية من قبل المتخصصين أو التدخل فيها، فإن الاتجـــاه العام للجماعة يشير إلى قدرة الجماعة وحدها (بدون محترفين في العلاج) علـــى

مواجهة المشكلة، وحتى المدمنين من ذوي التشخيص ثنائي الاضطراب فقد نمت جماعة فرعية من جماعة المدمنين المجهولين، تضم هؤلاء المدمنين بالرغم من أن حاجة هؤلاء (أي ذوي التشخيص ثنائي الاضطراب) لمحترفي العلاج من الأطباء والأخصائيين النفسيين والاجتماعيين أكثر وضوحاً. بالإضافة إلى ما سبق فإن الانتماء للجماعة يجعل أعضاءها ينفرون في كثيرٍ من الأحيان مِمَّن هو خارج الجماعة، وهذا ما لاحظه الباحث أثناء تفاعله مع عدد من أعضاء جماعة المدمنين المجهولين

2- سلبيات تتعلق بجماعة المدمنين المجهولين كونها جماعة

على الرغم من كل الإيجابيات التي تقدمها الجماعات العلاجية في مجال الإدمان للمدمن، فإن هذه الإيجابيات لا تغنيه بحال عن حاجته للعلاج الفردي، فالمتخصص في علاج الإدمان يدرك أن علاج المدمن يبدأ عند فرد معالج وليس جماعة. ويبدو هذا الدور للعلاج الفردي أكثر وضوحاً في الجماعات العلاجية المتخصصة التي تشمل محترفين في العلاج حيث يبدأ المدمن مع معالج فردي ثم يتدرج في مراحل العلاج حتى يكون مؤهلاً للانضمام للجماعة العلاجية، وحتى بعد انضمام المدمن للجماعة العلاجية يكون هناك – على أفضل الأحوال – أعضاء في الجماعة بحاجة مستمرة لمتابعة الجلسات الفردية لمواصلة العلاج الجماعي، كما يحتاج جميع أعضاء الجماعة في مواقف مختلفة إلى جلسات العلاج الفردي لكي تتحقق أقصى استفادة من العلاج بشقيه الفردي والجماعي. وما ينطبق على الجماعات العلاجية للمحترفين ينطبق على جماعة المدمنين المجهولين،بَيْدَ أن الأخيرة لا يشتمل برنامجها على جلسات علاج فردي، مما يُعد نقصاً شديداً فيما تقدمه هذه الجماعة للمدمن لمواجهة إدمانه، غير أن وجود راعٍ للمدمن (مشرف) على اتصال دائم بالمدمن لتوجيهه وإرشاده قد يسد بعض جوانب هذا النقص لكنه – في رأي الباحث – لا يغنيه تماماً عن المعالج الفردي المتخصص.

3- سلبيات تتعلق بجماعة المدمنين المجهولين والبرنامج الذي تقدمه

3/أ- الصفة الرسمية لجماعة المدمنين المجهولين

نظراً لتأكيد جماعة المدمنين المجهولين الشديد على استقلالها وعدم خضـــوعها لإشراف أي جهة أو مؤسسة سواء كانت رسمية أو غير رسميـــة- فـــإن جماعـــة المدمنين المجهولين في الجزائر ترفض خضوعها لوزارة الشئون الاجتماعية بوصـــفها جماعة أهلية ينطبق عليها قوانين وأحكام الجماعات الأهلية، ومن ثم قد يلقي الوضع الحالي للجماعة في الجزائر عليها ظلالاً من الشك لاسيما لدى غير المتخصصين من أهالي المدمنين والمهتمين بهم؛ من حيث إنه قد يكون للجماعة أهداف أخرى غـــير العلاج: سياسية أو دينية.

3/ب- ثقة المجتمع في أعضاء جماعة المدمنين المجهولين

إن الجانب السلبي الآخر لعدم وجود محترفين غير معتمدين لعلاج الإدمان في الجماعة – غير الجانب المتعلق بحاجة المدمن للمحتـــرفين – هـــو ثقـــة المجتمـــع بالمتخصصين في العلاج لما لديهم من الشهادات الرسمية والخبرات هذا من ناحيـــة، وضعف ثقة المجتمع في أعضاء الجماعة لكونهم معتمـــدين لـــديهم مـــن رصـــيد السلوكيات السلبية نحو مجتمعهم ما يكفي لإضعاف الثقة فيهم من ناحية أخرى.

3/ج- إتاحة الدخول للمتعاطين

تتيح جماعة المدمنين المجهولين للمتعاطين (أي المتعاطين تواً لمواد نفسية ويظهر تأثير التعاطي عليهم) التواجد في الاجتماعات وتشترط عليهم فقط عدم المشاركة في الحديث، وتتعرض الجماعة لانتقادات شديدة من قبل كثير من محترفي عـــلاج الإدمان بسبب هذا السماح للمتعاطين بالتواجد في الاجتماعات نظراً لإمكانية تأثر المدمنين المتعافين بهؤلاء المتعاطين، وهي أحد المواقف عالية الخطورة التي قد يتعرض لها المدمن فتؤدي إلى الانتكاسة، ومع ذلك فإن سياق التعافي الذي يســـود هـــذه

الاجتماعات وغلبة عدد المتعافين فيها قد يقلل من خطورة هذا الموقف وإن كان لا يلغي تأثيره تماماً

3/د- الجانب السلبي للمجهولية

على الرغم من الجوانب الإيجابية للمجهولية التي تتمتع بها جماعة المدمنين المجهولين وما تنطوي عليها هذه الجوانب من توفير الثقة الأمان للمدمن، فإنها قد تقف حجر عثرة في سبيل التعرف على الجماعة ومعرفة تفاصيل خطواتها وإجراءاتها خاصةً إذا كانت هناك محاولات منظمة لهذه المعرفة تسعى لتكوين رأي أكثر موضوعية عن هذه الجماعة وأقصد بالتحديد الدراسات العلمية.فقد يرفض أعضاء في جماعة المدمنين إمداد الباحث بمعلومات تتعلق بالجماعة وبرنامجها بحجة أن هذه المعلومات سرية ولا يجوز لأحد الاطِّلاع عليها تفعيلاً لمبدأ المجهولية، ومن ثم قد يعد هذا الاتجاه لدى بعض أعضاء الجماعة أحد العوامل التي تسهم في عرقلة البحوث التي تتناول الجماعة.

مما سبق يمكننا القول أنه على الرغم من أن جماعة المدمنين المجهولين تنطوي على مجموعة من الخصائص التي قد تؤهلها لأن تكون في مقدمة الجماعات العلاجية للإدمان، مثل تاريخها الطويل الذي يمتد لأكثر من نصف قرن وانتشارها الواسع في كثير من الدول واحتوائها على إجراءات وممارسات لمواجهة الإدمان ووجود مجموعة من الإيجابيات التي تتميز بها عن غيرها من وسائل علاج الإدمان كالمجانية والمجهولية وغيرها من الإيجابيات المذكورة آنفاً، إلا أن هناك عدد من الجوانب السلبية – كالصفة غير الشرعية لهذه الجماعة وإتاحة الدخول للمتعاطين وخلوها من المتخصصين – قد تقلل من أهمية هذه الإيجابيات وتجعلها مجرد افتراضات قابلة للرد عليها بافتراضات مثلها.

المراجع:

1. جواد فطاير: الإدمان أنواعه، مراحله، علاجه. دار الشروق، القاهرة 2001 .
2. حسين على فايد: دراسة مقارنة لديناميات شخصية متعاطي الهيروين ومتعاطي الحشيش. رسالة ماجستير.القاهرة.جامعة عين شمس. كلية الآداب. 1992.
3. دياب فوزية: القيم والعادات الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية.1980
4. صابر أحمد عبد الموجود: جماعة المدمنين المجهولين ما لها وما عليها، القاهرة، 2003
5. محمد حمدي حجار: برنامج إرشادي علاجي للمراهقين والأحداث ضد تعاطي المخدرات والمسكرات في الإصلاحيات ومراكز إعادة التأهيل، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض. 1413هـ .

6- Platt, J. (1986): Heroin Addiction, Secand Edition, Robert, E, krieger publishing company, Florida.

7- Stephen L.Dits, et al (1996): Substance Abuse in Pregnancy. American Journal an Addiction.

8- Seppalla (2001): Can psychophysiology Be of use in Detecting Drug Addiction Literature-c-Academic Electronic presses. Studs psychology. Vol. (44)

9- Steer, R. A, Schut, J (1979): Types of Psychopathology displayed by heroin addicts. American Journal of Psychiatry No, 136